

الفلاح في القرية

والعامل في المدينة

ليس في مصر ما يدعو الى التناق العظيم وإلى ونز الضمير الوطني مثل حالة الفلاح المصري التي تخفض الى مادون المستوى الذي يصطح عليه المتمدنون . وقد أنفقت الحكومة المصرية مدة الرقابة البريطانية الملايين من الجنيهات لاصلاح الريف ، ولكن هذا الاصلاح كان على الدوام يقتصر على التربة دون القرية ، وزيادة الخصوبة حتى تزيد المحصولات دون الترفيه عن الفلاحين . بل إن هذا الاهتمام بزيادة المحصولات قد عاد بالضرر الصحي على الفلاحين ، لأن التربة تشبعت بالمياه فكثرت الأمراض التي تفكك بالفلاح مثل البهارسيا ولا نكلستوما ، فاذا أضفنا الى ذلك أن القرية في السبعين سنة الماضية كانت تفقد رويدا رويدا استقلالها الاقتصادي عرفنا مقدار اليأس الذي كان يعانيه الفلاح منذ بداية هذا القرن . فقد كانت القرية المصرية تزرع فئا كل مما تزرع ، كما كانت تغزل وتنسج الأقمشة التي تحتاج الى ما تنتجه الأرض ، ولكن واردات الأقمشة من أوروبا قتلت صناعتى الغزل والنسج فانهدم استقلال القرية . ولم ينفع الفلاح بزيادة الخصوبة أو وفرة المحصول ، لأن ايجار الأرض كان يزداد فيبقيه في ضيقه وفقره بل يزيده ضيقا وفقرا .

والبلاجر هي واحد من أمراض الفقر التي تنفش بين الفلاحين ، وهناك أمراض أخرى تنفش أيضا وتمزى الى الجهل والفقر معا . فإن المجزعن النظافة يجعل العدوى بجى التيفوس وأمراض أخرى سريعا وقاسيا . كما أن خلو المسكن الذي يعيش فيه الفلاح من وسائل الرفاهية وخلو القرية من وسائل التسلية كلاهما يجعل الفلاح سريعا الى ارتكاب الجريمة اذ هو لا يبالي أن ينقل من قرية خالية من الحياة الاجتماعية ومسكن لا يبعث على الإنسراح الى السجن .

وقد عنيت مصلحة الصحة ، ثم وزارة الصحة في السنوات الأخيرة ، بصحة الفلاح . وكان لمرحوم الدكتور شاهين باشا والدكتور عبد الواحد الوكيل بك فضل التثنيه ووضع البرامج للإصلاح ، ففي عام ١٩٣٤ وضع المرحوم شاهين باشا مشروفا يراد به اصلاح مساكن الملاحين في مدى أربعين عاما .

أما مشروع عبد الواحد الوكيل بك فيقوم على أساس اجتماعى واقتصادي وصحى معا . وذلك لأنه يرى أن الحال السيئة التي يعانيها الفلاحون لا ترجع الى المرض وحده ، بل الى الفقر والجهل أيضا ، فهو يقترح إيجاد "مجموعة قروية" تتألف من طبيب وزائرة ومعاون صحى وطبيب بيطرى وموظف تعاونى ومرشد زراعى ومعلمة للأعمال اليدوية ، وهؤلاء

الموظفون السبعة يشرفون على منطقة معينة من الريف فيرفعون المستوى الاقتصادى ويعنون بترقية الزراعة وصحة البهائم وتعليم ائنتاة أو الأم القروية بقدر ما يعنون بصحة الفلاحين . والفلاح لا يعتمد على رأيهم فى صحة طفله فقط بل يحتاج اليهم لكي يستشيرهم فى نوع السماد الذى يحتاج اليه الذرة أو يسألهم عن العلة فى قلة اللبن الذى تدره جاموسته أو بترته .

ولكن هذا المشروع للأسف لم ينفذ ، إذ اقتضت وزارة للصحة منه على القسم الصحى ، ولها الآن مكاتب صحية يحتوى كل منها على طبيب وقسم رعاية الأم ومعزل صحى . والمأمول أن تكثر هذه المكاتب وأن تتوسع فيها الوزارة حتى تعيدها إلى المشروع الأصيل الذى وضعه عبد الواحد الوكيل بك .

على أن وزارة الشؤون الاجتماعية بمراكش الاجتماعية سوف تحقق أغراض هذا المشروع . والتفكير العام يتجه هذه الأيام نحو نقض الخطة السابقة فى وزارة الأشغال . فإن هذه الوزارة قد أصبحت تشعر بمسئوليتها الجسيمة فيما انتهت إليه مشروعاتها للتوسع فى الري بإشباع التربة بالماء وإفشاء الأمراض التى أصبحت تسمى " المتوطنة " وهى تعنى الآن بتجفيف التربة . كما أن الحكومة قد توسعت بإيجاد المستشفيات للرمذ ولأنكلستوما والبلهارسيا ولكن جميع المفكرين يشعرون أن كل هذه الوسائل علاجية ، وأن الوسيلة الوقائية الوحيدة هى مكافحة الفقر وزيادة ثروة الفلاح بسن القوانين التى تمنع المائكين من المبالغة فى استغلاله كما تمنع التجار من التلاعب فى معاملته . من الناحية الواحدة نحتاج الى س قانون يحدد قيمة الإيجار للأرض . ومن الناحية الثانية نحتاج الى تعميم شركات التعاون كما لا بد من قوانين أخرى لتنظيم بناء القرية وتحسين مساكن الفلاحين .

وقد كان من أثر النهضة الصناعية وإيجاد طائفة من الصناعات الحديثة أن أصبح فى كل من القاهرة والأسكندرية وبعض المدن الأخرى وخاصة فى المحلة الكبرى طوائف من العمال تعيش بما تكسب بالعمل فى المصانع .

وما سبق لنا أن قلناه عن الفلاح حين فقد استقلاله الاقتصادى بدخول الأقمشة الأوربية نقوله أيضا عن العامل فى المدينة ، فقد كان هذا العامل يعيش قبل القرن التاسع عشر وهو مالك وعامل معا ، وكان يندمج فى " الطائفة " التى كانت تضارع الجليد (Guild) فى إنجلترا . ولكنه هو أيضا فقد استقلاله بتدفق البضائع الأوربية . بل إن اسماعيل باشا أنشئ نظام الطوائف عندما رأى أنه فقد قيمته السابقة .

فلما كانت بداية هذا القرن كان عدد كبير من العمال يعمل فى مصانع اسجابر ، وكان معهم بعض العمال الأوربيين الذين نهوهم الى معنى النقابة وقيمتها . وكان المرحوم عمر لطفى بك من أولئك المفكرين الأبرار فساعدهم على تأليف النقابة . ولكن مع مضى نحو ٣٨ سنة

على هذه الفكرة لا يزال العمال بلا نقابات تعترف الحكومة بشخصيتهم وتكفل للعمال حقوقهم
إزاء عشرات المصانع التي قد تستبد بهم .

وقد أنشأت الحكومة مكتبا - ثم مصلحة - للعمل . ولكن هذه المصلحة لا تزال
تفتقر الى تنفيذ الشرط الأول لنجاح أية محاولة لترقية العمال وهو الاعتراف بشخصية النقابة .
وقد قدمت مشروعا لتأسيس النقابات وأخرجت الفلاحين والخدم منه ولكن هذا المشروع
لا يزال في طور الدرس . والمأمول أن يوافق عليه البرلمان قريبا .

ومساكن العمال في المدن لا تعد سبباً اذا قيست بمساكن الفلاحين ولكنها تحتاج الى
كثير من الإصلاح ، فان أحياء العمال في المدن الكبرى تتكدس فيها المساكن وتخلو من
المتزهات وبعضها يخلو من وسائل الصحة والراحة ، وقد عنت بعض الحكومات السابقة
ببناء المساكن للعمال ولكن التنفيذ كان على الدوام مقصوراً على عدد قليل من المساكن .

ومما يؤسف له أن العمال لم يجدوا الإرشاد الذي كانوا ينتظرون من القادة . فقد تزم
نقاباتهم عدد كبير من المتجرين بالسياسة ، فكان مصير النقابة على الدوام الى الافلاس ،
وكذلك اندفعوا في تيارات حزبية عادت عليهم بالضرر ، ولكن رويدا رويدا يدرك العمال
أن النقابة هي الأساس لجميع ألوان النشاط الأخرى ، ولذلك يركزون همهم في حمل الحكومة
على الاعتراف بها .

-
- | | |
|---------------------------|----------------------------|
| كيف ترعى عناية الله أرضاً | باء فيها المجدد بالإقلال ؟ |
| ينسج الخبز والخير ويمشى | حافيا في الرقاع والأسمال ؟ |
| ويشيد القصور وهو شريد | في زوايا الكهوف والأطلال ؟ |
| ويدر الغنى وما في يديه | شعبة الوالدين والأطفال ؟ |